د. علي شلق

ابن الرومي

في الصورة والوجود

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

ابن الرومي

جَميـــعُ الحقـــوق محفوظـــة

الطبعة الاولى

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

الحمراء ـ شارع اميل اده ـ بناية سلام

هاتف: ٨٠٢٤٠٧ ـ ٨٠٢٤٢٨ ص . ب ٦٣١١/١١٣ بيروت ـ لبنان

القسم الاول

تقدمة

« أ » كيفَ استفَاق إبن الرّومي ؟

ساعة نكتب ، كل نقطة من الحبر لها قوتان ، واحدة تتميز بما تنطوي عليه من طاقة متأهبة كامنة ، والثانية بما يتمادى عنها من ابداع . ذلك هو التدافع نحو المطلق ، تدافعاً دائرياً شأن الكواكب في افلاكها .

حبر !!!

من شفتي القلم اذ هما جناحا الخاطرة ، تكاثف نور ، تعرّي ضياء أبيض ، وعندما تشتاق النقطة تنهمر لوناً وحركة ، لتأخذ الحياة طريقها ، فتخلص من سأمها ، وعندئذ تذكر وجودها كما كان ، مدركة أطيب تجدد في جمالها الذي لا يفنى .

صديق الحبر يمضي في تذكر موصول ، فهو تام الوجود ، يحيا ، ويعيد العبور من شتى المسارب التي انفتحت أمام ضميره ، قديماً ، منذ أن اختلجت الحياة أول مرة :

حروفاً ، خطوطاً ، نقطاً .

كل ذلك تعبير عن شيء ، أو شرحه بوجه من الوجوه ، حتى التعاريج والرسوم ، تجيء عفو الخاطر ، نقشَ أقدام الطيور في التراب ، أعابيث الهوام في الرمال . أترى ذلك غير تعبير له الف غاية ؟ وهي في حقيقتها غاية واحدة !

الحبر ، ذا لون ، وبدون لون ، خلاّق واع . .

« ب »

ونحن بني الانسان ، حروفاً ، نقطاً ، خطوطاً ، يلهو بنا قدر ، ولا معنى لنا الا ساعة نلهو ، وهنالك ، وفي كل هنا ، موجود كبير واحد ، يشرح على طريقته المغزى الذي لاجله وجدنا ، ان كان لنا مغزى .

اننا نكتب بالحبر ، ونحن في الوقت نفسه حبر للذي بيده القلم الاكبر ، يخربش به وبنا على صفحات أرادها أن تبقى ، وأرادنا أن نثبت ونمحى ، هكذا غرفةً من الماء تنفرج عنها الاصابع ، بادئا معيداً ، والنهر جار الى حيث لا قرار .

ابن الرومي احد اولئك المتميزين الذين كتبوا ، لمّ نفسه رغبة رغبة ، ثم غمّسها في الحبر تغميساً فاذا بك تلمس وجوده الحقيقي في كل ما كتب ، وليس له وجود في غير ذلك ، متخذاً من شرايين ذاته أقلاماً ، ومن دم رغباته حبراً ، فجاء شعره حياة جانبية لعصره ، وغير جانبية ، لذلك اعتبره العصر قطرة كثيفة من الحبر ، كما ان الحركة الدافعة في الكوكب الذي نعيش عليه ، مدت أناملها الى ذلك العصر واتخذت منه قطرة ، ليكون بدوره للشمس ما كان هو للعصر .

اما الشمس فهي قطرة صغيرة في شق ذلك القلم الكبير !!!

فيا أيها الانسان الكاتب المكتوب :

أتمنى لك تحقيق ذاتك ، وان تكون كما تشاء ، تخربش كما تهوى ، كما يخُربش بك ، إلاّ أن تكون ابن الروميّ .

غير ان ابن الروميّ وجد ، فهو حق ، وهو موضوع للتأمل : فاليك شيئاً عن ملامحه . قد يغني او يفيد ، وربما حمل على بذل معاناة امضى لدراسته ، وجلاء صورته ، وهذا سيكون ، بلا ريب ، عمل متعة وابداع .

« ج » لماذا اخترتُ البحثَ في إبن الرومي ؟

ـ ان علياً بن العباس شاعر غريب ، أخذتُ نفسي بدراسته ، على وعورتها ، وصعوبة مسالكها ، مثلما وطدت النية من قبل بصدد البحث في ابي نؤاس ، غزله وعصره ، وكلا الشاعرين ليس له ديوان بالمعنى الصحيح ، وكلاهما عاش قلقاً ، وهما غير بيّني زمن الولادة او الوفاة ، حتى ان معالم الشاعرين فيها تقوّل وتصوّر وتجاوز ، ولقد استغرب الاستاذ « بلاشير » ان ادرس « أبا نؤاس » على شذوذه ، زاعماً أن وراء الأمر توافقاً . . . وعلى الرغم من ان هذا القول ، لا يصح ان ينطق به « محكّم على منابر السوربن » الا اذا كان ذلك المحكم ذا مزاج خاص كأستاذنا « بلاشير » فان وجه العذر في دراسة النؤاسي واضح ، اذ لا يقتحم جوه الا كل مغامر ، ألم يتهيّبه الكثيرون ؟

لذلك اندفعت الى حرم النؤاسي ، وأنا ولوع منذ نشأتي بالمغامرات ، كما اندفع

الآن في الطريق المؤدي الى غياهب « ابن الرومي » الذي نشر حوله عدوى راعبة ، وشؤماً فرعونياً ، ولو أن الاستاذ « بلاشير » استطاع محاورتي بصدد علي بن العباس ، لنسب الي أنني مطبوع على غراره ، مأخوذ بخلائقه ، وما انا ، علم الله ، الا واحد من الناس ، يبتهج للجميل ، ويأسى لغير الجميل ، محاولاً أن يشير الى معاقد الحسن ، مبيناً تواهن السوءات ، مصغياً الى كل أصم يحكي ، ناظراً في كل كفيف يبصر ، واعياً ، بقدر ، ما لم ينطق به اللسان ، مترجماً عن التساوق العددي ، مثلي حيث تعيا الحروف عن التعبير ، وتقف اللغة عن المسير ، ويضرب البله عليّ نطاقه فاذا كل ما بي غثاء ينهلع قلب الحكمة من وجوده .

ما أنا في التاريخ بدعاً ، ان انا الا واحد اتخذه مجهول معلوم ، حرفاً يكتب به ، او كلمة أرادها أن تشكل ، وهكذا تشرح بنا الحياة من مضى ، ومن بقي ، ومن سيأتي ، قطرات في الشلال الابهر الكبير الذي يتحدر من حيث لا ادري ، وان كنت أسمع غناء ضوضائه .

على أن الأقرب منالاً ربما كان في أننا نتشارح ، يفسر احدنا نفسه بنفسه وبسواه غير مرة فى الزمان ، تلك النفس التى تعاقر خمرة الوجود المباشر ، فاذا بها تشرب من دموعها ودمائها ما تظنه خمرة ، وقد تكون خمرتها وجهاً متطوراً لشيء آخر ، أو أنها كأس ذابت ، فهي تحل في نفسها التي تجمدت ، هكذا دواليك في أرجوحة البقاء اللّماح .

يحتمل ان يكون احياء اليوم جمادات الامس ، أو نبات ما قبل .

ـ ألا تصدق ؟

ـ تذكر ، ثم انس ، وبعد ذلك ستذكر ابداً . . .

« د »

كتب طه حسين ، وعبد الرحمن شكري عن ابي نؤاس ، كما كتب العقاد والمازني عن ابن الرومي ، فهل تبين هؤلاء الراسمون أنهم شيء جديد يختلف اختلافاً بيناً عن ابن هانيء وابن جورجيس ؟ أو أنهم باتخاذهم الآخرين موضوعاً للدراسة ، انما يصورون حاجاتهم ، ويدرسون الحيوات في نفوسهم متطورة بهم ، او بابن الرومي وابن هانيء ؟

على ان شاعري العصر العباسي ، ربما كانا ارهاصة لحياة أخرى عاقلة ، سينكشف عنها ستار المستقبل .

هنا ، هل تظننا في ماض ؟ ام اننا نعايش الحاضر ؟ وهل المستقبل غير نوع من الاحتمال لم يوجد ، وقد يكون وجوده حقيقياً بينما الحاضر خط وهمي ، والمستقبل موجود اطارياً ساعة وجد الزمان !

سواء كتبنا عن هؤلاء أم لم نكتب ، وسواء أكنا مروّين في انفسنا وفي الآفاق ، فلسنا الا نسخاً عن طبعات عدة ، تفتح ثم تطوى ، تصعد ثم تهوي ، المركز واحد ، والصور تتوالى . . .

والآن ، نحن مع ابن الرومي ، لذلك فهو ليس غريباً عنا ، ولسنا عنه غرباء ، نجدنا ممعنين في عرض اشيائه كأننا نعرفها من قبل ، دون مرجع ، فنستغرق في لمسها قسماً قسماً كأنها منا ، من كل شيء فينا ، فهل بعد هذا من مفارقة ؟

ما دام الامر كذلك ، فلنرفع الستار !!!

بيروت 12-2-1959

الفَصلُ الأوَل
التعريف بالفنان

من هو ابن الرّومي ؟

كان يدعى علياً بن العباس بن جريح وقيل جورجيس[1] ، او جرجيس[2] ، او جرجس[3] ، مولى لعبد الله بن عيسى بن جعفر ، بن المنصور بن محمد ، بن عبد الله ، بن عباس ، بن عبد المطلب[4] .

كنيته « أبو الحسن » وربما كان « الحسن » اسماً لأكبر اولاده ، اذ أن المعروف منهم محمد الاوسط ، وهبة الله .

ولادته

ولد ابن الرومي صبيحة يوم الأربعاء في الثاني من رجب سنة 221 هـ الموافق سنة 836 م[5] وسنة 835 حسب رأي الاستاذ عباس العقاد[6] ، ببغداد في الموضع المعروف بالعقيقة ودرب الختلية ، في دار بازاء قصر عيسى بن جعفر بن المنصور[7] .

يرى المرزباني في كتابه معجم الشعراء أنها العتيقة بدلاً من العقيقة ، في الجانب الغربي من مدينة السلام[8] .

وفاته

توفي يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاول سنة 283 وقيل سنة 284 أو

(1) وفيات الاعيان ج3 ص42 .
(2) دائرة معارف وجدي ج4 ص480 ـ دائرة معارف بطرس البستاني ج1 ص494 .
(3) معجم الشعراء للمرزباني ص289 .
(4) دائرة معارف وجدي ج4 ص480 .
(5) دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية .
(6) ابن الرومي ـ طبعة ثالثة ـ ص83 .
(7) وفيات الاعيان ج3 ص43 .
(8) المعجم ص289 .

سنة 896 م[9] ، ببغداد ، ودفن بمقبرة باب البستان[10] ويزيد المرزباني أن وفاته كانت في الجانب الشرقي من شارع سوق العطش في جمادى الاول سنة 283 ودفن في مقابر باب البستان[11] .

أبوه

هذا العباس بن جريج لم يكن ذا ملامح بينة بالنسبة الى معاصريه ، وليس لدينا الا ان نتصوره مولى ضيئل الخلقة ، اعجف ، على جانب من الدراية في تصريف شؤونه ، نظراً لولائه في بني العباس ، واقامته في جوار أحد امرائهم الكبار ، فاكتسب بذلك ثروة خلفها لولديه . وكما يفهم من مجرى حياة هذه الاسرة ، أن العباس كان على جانب حميد من الثقافة ، ولا نستطيع ان نحدد جهة نسبه هل هي لليونان ، أم للأروام ، أم لبعض رعايا امبراطوريتهم الواسعة ؟

بيد أن شعر ابنه « علي » المتميز بخصائص هي في حضارة اليونان اظهر منها في حضارة العرب ، يرجح عندنا أنه من اصل يوناني ، وأنه حمل في حناياه بقايا وراثة غير خافية .

اما متى ولد هذا العباس ؟ وكيف جرت مقادير حياته ؟ ومتى انطوى امره عن هذه الحياة ؟ فهذه أمور ليس لدينا اليها من سبيل ، لان الاهمال لحق بابنه من حيث تدوين كثير من شؤونه ، وهو من عرفنا شاعراً قلّ نظيره ، فكيف لا يلحق الاهمال بأبيه المولى ؟

ثم ان شعر ابن الرومي ، وحياته يدلان على ان ذلك الأب عاش مهزولاً مضعوفاً ، لم يتحمل دفع الحياة في طريقها الطويل ، بل مات في سن مبكرة لم تصل به الى الاربعين ، وكأن هذه الاسرة كانت واهية البناء الجسدي الى درجة أن افرادها تساقطوا كالأوراق العجفاء مختضرين لم يتموا أعمارهم ، لكن الشاعر جاء فيهم بدعاً فهو على تهافته الجسدي أربى عليهم سناً .

واذا كان شعر ابن الرومي سجلا بيّن الدلالة بالنسبة الى شخصه وأسرته ، حين كان الناس لا يعنون بضبط الولادات والوفيات الا ما جاء بصدد المشاهير ، فان العباس لم يظفر بحديث عنه في شعر ولده علي ، أللهم الا تجوزا ومفاخرة تتخطاه الى سواه من الاجداد . وكل ما وقفنا عليه مثل هذا البيت الذي يثبت فيه نسب ابيه :

---

(9) دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية مادة «Ibn r- rûmi»

(10) الوفيات جـ3 ص44 .

(11) معجم الشعراء ص289 .

كيف أغضي على الـدنيّة والفر س خؤولي والـرّوم أعمامي[12]

أو قوله :

ونحـن بنو اليونان قومٌ لنـا حجىً ومجـد وعـيدان صلاب المعاجم[13]

وقوله :

ان لم أزر ملـكاً أشجـي الخطـوب به فلـم يلدنـي أبـو الامـلاك يونان[14]

وربما افتخر بالروم على العرب في مثل قوله :

آبائـي الـروم توفيل وتوفلسٌ ولـم يلدنـي ربعـيّ ولا شيث[15]

وقد يفتخر بمواليه بني العباس ، وبأصله الرومي معاً :

مولاهـم وغـذيٌّ نعمتهم والـروم حـين تنصّنـي اصلي[16]

اما ذكر كلمة « اب » في ديوانه فقد وردت في موضعين وهي ان دلت على شيء فانما تتعدى الاب المباشر الى الجدود والاصول :

وكم من أب لي ماجـد وابـن ماجد له شرف يُربـي على الشرف المربي[17]

وقوله :

شادلي السّور بعـد توطئـة الأسّ اب قال : « انـت للشرف »[18]

ذلك لأنه لم يشافه أباه ، أو يحظ منه بمعايشة ، فهذا كله محمول على التجـوز ، والمفاخرة ، كما ان كلمة « والد » وردت في قوله :

« بأخي بل بوالدي . . . »[19]

---

(12) ابن الرومي 84 .
(13) ابن الرومي 84
(14) ابن الرومي 84
(15) ابن الرومي 84 .
(16) الديوان ص345 .
(17) ابن الرومي ص85 .
(18) ابن الرومي ص85
(19) ابن الرومي ص88 .

أمُّهُ

ذكر المرزباني في كتابه معجم الشعراء[20] ان والدة ابن الرومي كانت « حسنة بنت عبد الله السجري » فمن هو عبد الله السجري هذا ؟ وما هي نسبته الحقيقية ؟

لا شيء يلقي شعة واحدة على حقيقة هذا الاب ، حتى في ديوان حفيده ابن الرومي الا ما جاء عرضاً في قوله لدى معرض فخره بنسبيه لابيه ولأمه :

بل إن تعـدّت فلـم أحسـن سياستها فلـم يلدنـي ابـو السُّـوّاس ساسانُ

بعد قوله السالف بصدد يونانيته :

. . . . . فلـم يلدنـي ابـو الامـلاك يونانُ

او قوله :

« والفرسُ خؤولي . . . »

وكل ما يصل اليه الباحث بصدد هذه الام الفارسية الاصل ـ اذا اعتبرنا ظاهر كلام ابن الرومي ـ قصيدة في الديوان يرثي بها هذه الام التي قد تكون مدخولة النسب ، بالنسبة الى الفرس[21] .

ولسـت ارانـي مذهلي عنـك مذهلٌ يد الدهـر الا أخـذة الموت بالكظمْ
طوى الموت اسبـاب المحابـاة بيننا فلسـت وإن اطنبـت فيك بمتّهمْ
رجعنـا وافردنـاك غـير فريدة من البـرّ والمعـروف والخـير والكرمْ
فلا تعدمـي انس المحـلّ فطالما عكفـت فآنسـت المحـاريب في الظّلمْ

ربما وجد الباحث في هذه الابيات بعض ملامح هذه الأم ، فالمشيّعون عادوا وتركوها في القبر فريدة ولكن المآثر والمحامد لم تتركها ، بل هي تؤانسها وتجاورها ، فمن تلك المحامد البر والمعروف والخير والكرم ، وفي هذه الخصائل ما يشير الى ان هذه الام كانت بارة بذويها ، جوادة على المعوزين ، والجود يقتضي في اغلب مناسباته ثراء أو اكتفاء ، وأنها كانت تحب الخير وتحيا له .

إلى جانب ذلك كانت تقية ، تقوم الليل ، وتكثر من الصلاة والصوم ، وتطعم

---

(20) معجم الشعراء ص289 .

(21) الديوان ص31-32 .

الايتام ، والسائلين وتجود على الجيران بمطاعمها التي تجيدها وتتقنها ، لما لها من حسّ دقيق ناعم ظهرت علاماته في نهم ابن الرومي ، ودقة احساسه . وهذا ما يصور لنا وجه تلك الام بريئاً ، على مسحة من الجمال يزكيها وصف ابن الرومي صورته بأنه كان جميلاً ، وأنها كانت معروقة الجسم ، هزيلة ، ولا يبعد ان تكون كأبيه من حيث الرقة والضعف ، الى شيء من الوسواس يشير اليه امعانها في العبادة ، وانغمارها في جو الابتهال .

ماتت امه وهو مكتهل ، فهي لم تعمر طويلاً :

أقول ، وقد قالوا اتبكي كفاقد ... رضاعاً وأين الكهل ،من راضع الحلمْ
هي الام ، يا للناس جرعت فقدها ... ومن يبك أمّاً لم تُذَمْ قطُّ ، لا يُذَمْ

لا شك في أنها كانت طيبة المعشر ، صادقة الالفة ، لم تعرف عنها الاساءة الى احد لذلك فحق لابن الرومي أن يبكيها .

ثم يشرح لنا بأبيات أخرى فحوى ذلك البر والمعروف والخير والكرم فيقول :

وفات بك الأيتام حصن كنافة ... دفيء عليهم ليلة القر والشبم
ولم تخطىء الايام فيك فجيعة ... بصوّامة فيهن طيّبة الطُّعُم
فلا تعدمي انس المحل فطالما ... عكفت فآنست المحاريب في الظُّلَم

ثم يأخذ في سلسلة فضائلها ، وما كانت تكفيه ابنها من حاجات روحية ، ومادية ، وليس عجيباً ان يتفجع مضعوف كابن الرومي على امه ، فان مثله كالطفل تتجمع نفسه هلعاً لفقدان العزيز عليه ، وليس له من كيانه ما يثبته ، أو يمسك وجدانه فلا ينهار .

خالتهُ :

يؤخذ من قطعة في ديوانه لا تتعدى الأربعة أبيات أنه فقد خالته قبل أمه ، وان تلك الخالة كانت اثيرة لديه شأن اقربائه جميعهم ، كما هي الحالة عند ذوي الاحساس الرقيق ، والحياة الاجتماعية الاولية ، وانهما تفجعا عليها تفجعاً تظهره الابيات التالية :

ألا ليست الدنيا بدار فلاح ... بعينيك صرعاها مساء صباح(22)
ارانـي وامي بعد فقدان اختها ... وإن كنت في رَفْهٍ بها وصلاح
كفرخ قطاة الدوّ بان جناحها ... فبات الى خفق بغير جناح

هذه الخالة كانت لا تقل عن امه عناية بشؤونه حسب دلالة كلمة « رفه » وأنها كانت

(22) الديوان ص80 .

تنظم أمره وتصلح شأنه ، وما كلمة صلاح هنا الا دليل على استيفائه مطالبه برعاية خالته استيفاء حميدا .

أخوُه :

يعلن ابن الرومي عن تعلقه بأخيه ، وأساه العميق لفقده في قصيدة من ديوانه تفيض شكوى ومرارة منها :

ايها الحاسدي على صحبتي العسر وذمي الزمان والاخوانا[23]
حسداً هاجه على ثلب شعري ولقائي معبساً غضبانا

الى ان يقول :

ام على أنني ثكلت شقيقي وعدمت الثراء والاوطانا

تأمل كلمة ثكلت وما فيها من لواعج الوجد ، وتفجر اللوعة ، فشقيقه هنا بمثابة ابن له يغمره بحنانه ساعة أصيب بنهايته ، ولكن هذا الشقيق في مقام الوالد ساعة كان يتسلسل في حياته ويرعى اخاه الشاعر عليا :

بأخي بل بوالدي بل بنفسي

والظاهر انه فقد اخاه هذا بعد وفاة أمه فكأن احزانه أبت الا ان تكون موصولة ، وان تكون نفسه المتداعية موزعة بين المصائب لا تنقضي واحدة الا اطلت الثانية بفوديها :

بأخٍ شقيقٍ بعد امٍ برّةٍ بالأمس قطّع منهما اقرانه[24]

لا مرية في أن كلمة شقيق صفة لاخ ، وبرة صفة لام ، فيهما من الدلالة على الوجد ما يغني عن الشرح عند الحديث عن آلام ابن الرومي وفرقه لفقدان سندين هما في الحقيقة اقوى ما يعتمد عليه موجود في وجوده .

ولكن من يكون ذلك الشقيق الذي هو في مقام الوالد لعلي بن العباس ؟ وماذا كان يعمل ؟ وما هو مقداره في المجتمع الذي عاش فيه ؟

نقع في الديوان على قصيدة لامية عنوانها أشأم الناس[25] منها :

---

(23) الديوان ص116 .

(24) ابن الرومي ص88 .

(25) الديوان ص297 .

ملحوظة ـ تراعي قصيدته في الديوان ص135 الى ص159 عن اخيه التي منها :

اخي والفتى وتربي كان مولدنا معاً ، وربتني الايام حيث ربا

قل لايّوب والسلام سجالُ والجوابات ذات يوم تُدَالُ
اسكتوا بعدها فلا تذكروا بالشؤم حياً فأنتم الآجالُ
انا شؤمي فيما تقولون عزّا لٌ ولكن شؤمكم قتّال
بالذي ادرك المؤيد منكم وابنِ سعدٍ ، ان تضرب الامثالُ
زرتموه والصالحات عليه مقبلات ، فأدبر الإقبال
حين درت له افاويق دنياهُ دلفتم ، له فكان الفصال

الى ان يقول :

ليس بدعاً من الحوادث ان يعزل والٍ وان تموت الرجالُ
انما البدع ان تزول امورٌ لم يكن يهتدي اليها الزوالُ
كالذي ادرك المؤيّد منكم وهو في رأس نجوة لا ينال
ذلك الشؤم يا بني « امّ شيخ » يمكن القائلين فيه المثالُ
ذاك شؤم لو كان في جنة الخلد لمالت بأهلها الأحوال

ما موضع ذلك الشؤم الذي يعنيه ابن الرومي ؟ ومن هم ابناء ام شيخ ؟ وما صلتهم بالمؤيد خليفة المسلمين ؟ وأي صلة لذلك كله عند الحديث عن شقيق ابن الرومي ؟

« بنو ام شيخ » اصدقاء ابن سعدان مؤدب المؤيد ومعلمه ، قاموا اليه بزيارة فلبثوا مدة والمؤيد خليفة على المسلمين ، فكان أن نكب المؤيد وتفرق ذووه فكأنهم كانوا شؤماً على الخليفة وعلى كل من يمت اليه بصلة .

وكان شقيق ابن الرومي واسمه « محمد » وكنيته ابو جعفر كاتباً عند رجل من بنى ام شيخ ثم عزل ، فعبث بابن الرومي بنو ام شيخ قائلين « لقد عزل اخاك شؤمك » فقال ابو جعفر ان شؤمنا عزال ، ولكن شؤمكم على المؤيد وجماعته قتال ، سيأتيكم الخبر على لسان اخي على بن العباس ، فكان من امرهم القصيدة الآنفة الذكر .

والظاهر ان محمداً هذا كتب قبلاً لعبد الله بن عبد الله بن طاهر ، وانه مات بعد موت امه البرة في السنة التي قتل فيها المؤيد لذلك فابن الرومي يطلب ان يحل محله .

وحياتـه لي ، أن اقـوم مقامه واسدّ من دار الامـير مكانهُ[26]

فهل كان محمد شقيق ابن الرومي ادرى من اخيه بتصريف الامور ، ومعايشة

(26) ابن الرومي ص89 .

الناس ؟ وهل كان على جانب مرموق من حسن الكتابة ، ولطف الادب ؟

ذلك ما يظهر من توليه أمر الكتابة غير مرة ، وهو منصب لم يستطيع بلوغه ابن الرومي لهوسه ووسواسه ، ثم هو بعد ذلك منصب لم يكن ليتقلده في ذلك العصر غير الاكفاء الملحوظين بالكياسة واللياقة والثقافة ، على الغالب ، وهذه حال لم يكن بعيداً عنها شقيق ابن الرومي ، الذي غمر فقده فؤاد اخيه حسرة وحزناً ممدوداً :

وتسليني الايام لا أنّ لوعتي ولا حُزني كالشيء ينسى فيعزب[27]
ولكن كفاني مسلياً ومعزّياً بان المدى بيني وبينك يقرُب

فهل كان ابن الرومي الذي اشرف على الكهولة شاعراً بتداعي كيانه ، وانه تكهل قبل الكهولة ، فهو لذلك يشعر بدنو نهايته بسبب فاجعته بأخيه التي هدمته تهديماً ؟

تجاوز عن اخي وشقيق نفسي فجنبي مذ عتبت عليه نابي

كما أنه فجع بعداوة ابن عمّ له ، والعداوة كالموت :

لي ابن عمّ يجر الشرّ مجتهداً اليّ قدما ولا يَصْلى له نارا[28]
يجني ، فأصْلى بما يجني فيخذلني وكلما كان زنداً كنت مسعارا

على أن له ابن عم ، ولكن لا تظهر لنا بوادر تدل على شخصية هذا العم ، ولا على شخصية ولده الذي يجر الشر لابن عمه علي بن العباس ، وابناء العمومة اكثرهم في شنآن منذ استهلت الحياة ، ثم يخذله ويبتعد عنه ، كما انه لم يدلنا ايضاً على اسمه ولم يذكره الا بهذين البيتين .

زوجَتُه :

تزوج ابن الرومي مرتين ، فالأولى ام اولاده الثلاثة وهي التي يقول فيها راثياً : [29] .

عينيّ سحّا ولا تسحّا جلّ مصابي عن البكاء
تركتما الداء مستكنّاً اصدق عن صحة الوفاء
ان الاسى والبكاء قدماً امران كالداء والدواء

---

(27) الديوان ص32 .
(28) ابن الرومي ص91 .
(29) الديوان ص305 .

ومـــا ابتغـــاء الـــدواء الا بغيا سبيل الى البقاء
ومبتغـــي العيش بعـــد خلّ كاذبـــه خلـــة الصفاء

والثانية ، تزوجها بعد مدة قضاها أرمل ، يؤخذ من قوله يستعطف القاسم بن عبد الله وذلك في قصيدة اجاد فيها وصف بؤسه ، وهي تعد من اطول قصائده(30) :

ومبيتـــي بلا ضجيع لدى القرّ وللوغـــد شادن مخضوبُ

الى ان يقول :

من عذيري من دولـــة يدي المنْـ ـكوح فيهـــا ورجلي المركوب

ثم يقول :

لي مكان الحمار عنـــد الفتـــى الماجد بغـــلٌ ، او بغلـــةٌ سرحوبُ
وهـــي اجـــدى عليّ اذ هي ظهرٌ ومنـــاكٌ متـــى تمـــادى عُزُوْبُ
وهـــي رهـــن بذاك او تفتديها ذات دل لهـــا قنـــا خرعوبُ

وعندما عزم على التزوج ثانية لم يجد وسيلة تمكنه من الحصول على عرس تؤنس وحشته وتصلح من نفسه المنهارة ، فكتب الى صديق له يستعين به(31) :

يا سمـــيّ الخليل اياك ادعو دعـــوةً يمت سميعـــاً مجيبا
امـــة من امـــاء طولك أجمعـ ـت على نقلهـــا اليّ قريبا
ما تزوجتهـــا على غـــير تأميلك فانظـــر أجائـــز ان اخيبا
وقليل النـــوال في هذه الحالة تمّـــا اراه شيئـــاً عجيبا

نرجح ان تكون هذه زوجته الثانية اذ لو كانت الاولى لما كان له سبيل مقبول الى استعطاف صديق له ليجود عليه (بقليل النوال . . .) لان ابن الرومي في مطلع شبابه لم يكن في بؤس وعسر كما اتفق له ذلك بعد كهولته ، فقد كانت له ضيعة ، ودارات ، وثروة من ابيه :

تحيّف ما جمعت من الثراء(32)
أعاني ضيعة ما زلت منها(33)

---

(30) الديوان ص264 .
(31) الديوان ص436 .
(32) الديوان ص436 .
(33) الديوان ص436 .

تَهضّمُني انثى . . .[34]
اريد ارتجاع الدار . .[35]

والمرجح ان زوجته الاولى ماتت وهي صبية بدليل قوله في الديوان ص226 :

فاستغْزِرا درة الشؤون على بدركما .بل على قضيبكما أولادُه . . .

يذكر الديوان قصيدة لابن الرومي يرثي فيها ولده الاوسط[36] فيدلنا بذلك على ان له ثلاثة اولاد عرفنا منهم محمدا ، وهبة الله ، وثالثاً لم يتضح لنا اسمه اشارة او رمزاً ، وافترضنا انه « الحسن » وانه بكر علي بن العباس لان الغالب في تكنية الأباء حسب تسمية البكر من أبنائهم وان كانت الكنية تلحق لغير ما ذكرنا .

ولا ندري اذا كان ابن الرومي اصيب الى جانب اولاده الثلاثة من زواجه الاول بآخرين من زوجته الثانية .

المهم أن ابن الرومي فجع بأولاده فلم يعيشوا وذلك راجع في الاغلب الى ضعف مدد الحياة فيه ، وتلك اسرة مضعوفة لا يعمّر ابناؤها ، وأن تلك الفجائع المتلاحقة اثرت في كيانه واثارت قريحته فكان نصيب الرثاء في ديوانه غزيراً متميزاً قل نظيره في سائر شعر الرثاء العربي ، ولا ندري ان احداً جاراه بصدد رثاء الابناء .

قال يرثي ولده محمداً :

1 توخّـى حمـام الموت اوسـط صبيتي فللّـه كيف اختـار واسطـة العقد
محمـد ما شيء توهـم سلوة لقلبـي الا زاد قلبـي من الوجد

ورثى ابنه البكر بقوله[37] :

2 اعينـيّ جواداً لي فقـد جُدْتُ للثرى بأكثـر مـا تمنعـان وأطيبا
بُنـيَ الـذي اهديتـه امس للثرى فللـه ما أقـوى قناتـي وأصلبا

اما ابنه الثالث هبة الله فرثاه بقوله[38] :

(34) الديوان ص459 .
(35) الديوان ص460 .
(36) الديوان ص29 .
(37) الديوان ص29 .
(38) الديوان ص31 .